

إشارة الصليب

ليس

في التاريخ رمز يعبر عن العقيدة المسيحية أفضل من الصليب.

فالصليب هو التعبير الحسي لِكُنْهُ اللُّغْزِ المسيحي: النصر رغم الهزيمة والمجد رغم الهوان، والحياة رغم الموت. الصليب يرمز إلى إله صار إنساناً ومات كعبد ليخلص الخلق. وهو يرمز إلى حياة إنسان لم يخش التحديق في أبعاد الحياة، ارتفاعاً وعرضاً وعمقاً، لأن ذراعيه المفتوحين تعانقان الكون في جميع أبعاده.

ومن المثير للاهتمام أن كثيراً من الثقافات الوثنية التي سبقت زمن السيد المسيح، كانت تُكَنِّزُ أعظم التقدير والإجلال لرمز الصليب وتعتبره علامة مقدسة لاستقرار الكون وسلامته، لأنه يُشير إلى الجهات الأربع ويضم الكون بأسره. والأعجب من ذلك، أن هذا الرمز العريق في القدم، أصبح عند "اكتمال الزمان" وسيلة فداء وعلامة تمجيد لابن البشر. ويقول يوحنا الذهبي الفم في هذا الشأن: "أسميه ملكاً لأنه مصلوب. وما أجدر بالملك أن يموت فداءً عن شعبه." صلبٌ فموتٌ ففداءٌ فقيامَةٌ فملكوتٌ فتمجيد: هذا مختصر مفيد لمعنى الصليب.

في التاريخ المسيحي

كان العالم الوثني يعجز، بل يرفض، أن يفهم هذا السر العظيم، ويعتبره "حماقة"

لما

على حد قول القديس بولس، تردّد المسيحيون الأولون في أن يجعلوا من الصليب علامة مميزة للدين الجديد. لذا كثيراً ما كانوا يخفونه في رسمونه بشكل مرساة أو متشابكاً بأغصان كرمة. لكن بعدما تحرّرت الكنيسة من الاضطهاد في عهد الإمبراطور قسطنطين، أخذ الصليب يظهر تدرجياً كعلامة للمسيحيين. ويُشير المؤرخ الكنسي أوزابيوس (265-340م) إلى أن الصليب حلّ، في نهاية المطاف، محلّ النسر الرومانيّ على الرايات العسكرية الرسمية مقروناً بالشعار الشهير: " بهذه العلامة تنتصر."

ومهما يكن من أمر التردّد في اتخاذ الصليب رمزاً رسمياً للمسيحية قبل القرن الرابع، فإن أتباع المسيح كانوا يستعملونه على نطاق واسع منذ القرن الثاني، إذ يرسمون إشارة الصليب بأيديهم على جباههم. وفي القرن الثاني قال تيرتوليانوس، أقدم مؤرخ مسيحي: "في حلنا وترحالنا، وجميع تحركاتنا، ودخولنا وخروجنا، وأي عمل من أعمالنا، نرسم على جباهنا إشارة الصليب."

وفي القرن الرابع قال كيرلس الأورشليمي: "علينا ألا نستحي باعترافنا بالمصلوب. و ليكن الصليب خاتمتنا، نرسمه بجرأة على جباهنا وعلى كل شيء..."

وفي القرن السادس شرقاً، ربّما لمقاومة البدعة المونوفيزية التي تُنكر وجود طبيعتين في المسيح، الإلهية والانسانية، أخذ المسيحيون يرسمون إشارة الصليب بإصبعين، ليس على الجبين فحسب، بل بجرأة أكبر على معظم الجسم. ثم تطوّرت إشارة الصليب في القرون التالية، انطلاقاً من

التقليد الشرقي، نظراً لرغبتهم في التعبير بصورة أوضح عن عقيدة الثالوث وطبعتين في المسيح، فيضمّون الإبهام والسبابة والوسطى، رمزاً للثالوث، بينما تبقى الخنصر والبنصر لاصقتين بالكفّ، اعترافاً بالمسيح إلهاً وإنساناً معاً. وانتشرت هذه الإشارة الجديدة في الكنيسة الغربية، فكتب البابا لاون الرابع إلى رجال الإكليروس الأوامر التالية: "أرسموا إشارة الصليب على الكأس والقربان رمزاً صحيحاً بإصبعين ممدودتين مع الإبهام، رمزاً للثالوث. واحرصوا على أن ترسموا هذه الإشارة على الوجه الصحيح."

وفي القرن الثالث عشر، أصدر البابا اينوشنسيوس الثالث تعليمات صريحة برسم إشارة الصليب بثلاث أصابع، بدءاً بالجبين، فالصدر، فالكتف اليمنى وأخيراً اليسرى. وهذه الطريقة لا تزال شائعة بين الأغلبية العظمى للمسيحيين الشرقيين. وبقيت الكنيسة الغربية محتفظةً بهذه الإشارة العريقة حتى حوالي القرن الرابع عشر، حيث أخذوا تدرجياً يستعملون كفّ اليد مبسوطاً، ويعكسون رسم الإشارة فيبدأونها من الكتف اليسرى إلى اليمنى. ولعلهم كانوا في ذلك يتبعون حركة يد الكاهن حينما يبارك الشعب، انطلاقاً من يساره إلى يمينه، بحيث تصل الإشارة إليهم صحيحةً، من اليمين إلى اليسار. فقلّدوها خطأً.

الشكل المعاصر

المسيحيون الأرثوذكس والكاثوليك إشارة

الصليب أهمية كبرى، لأنّها

يُولي

اعتراف بالعقائد المسيحية الرئيسية الثلاث، الثالوث.

إشارة الصليب



مكتب الخدمات التربوية
لأبرشية نيوتن الملكية
<http://mekite.org/>

حقوق الطبع والنشر محفوظة للصور
الكاهن براندين ميكارنيه.

رمز للإيمان

إشارة

الصليب رمز للإيمان، وراية تقود

إلى الانتصار النهائي، على حدّ

قول يوحنا الدمشقي: "حيثما تكُن هذه الرّاية، يكُن صاحبها حاضرًا."

بركة الكاهن:

عندما

يبارك الكاهن برسم إشارة الصليب،

يشير إلى أن البركة يفعل ذلك على نحوٍ

لا تأتي منه، بل من السيّد المسيح ذاته. لذا تكون أصابع

يمناه بشكل الحرفين الأولين والحرفين الآخرين من اسم

"يسوع المسيح" باليونانية. "لكي تجثو لاسم يسوع كلّ

ركبة ممّا في السّماوات وعلى الأرض وتحت الأرض."

(فيلبي 2: 10)



القدّوس، ووجود طبيعتين في المسيح، وسرّ الفداء. وهذه الشّهادة بالإيمان المسيحي هي في الوقت ذاته عمل تقديس، به نكرس لله جميع أنشطتنا البشريّة، من أفكار وعواطف وأعمال



ونرسم هذه الإشارة حاليًا بضم الإبهام إلى السبّابة والوسطى، وإبقاء الإصبعين الباقيتين ملتصقتين بالكفّ. ثمّ نرفع يدنا إلى الجبين فالصدر فالكتف اليمنى وأخيرًا اليسرى. ذلك أنّ اليمين، في الكتاب المقدّس، يرمز إلى الخير، واليسار إلى الشرّ. كما أنّ قانون الإيمان ينصّ على أنّ الابن جلس عن يمين الله الأب. وكثيرًا ما يتبارك المسيحيون الشرقيون برسم إشارة الصليب على ذواتهم، كلّما دُكر الثالوث القدّوس، أو إذا قاموا بمطانية، أي بإحناء الجسم أمام الأشياء المقدّسة كالهيكل والإيقونات.